

التبيان في تفسير القرآن

(173) وقوله " كن فيكون " قال قوم هو خطاب للصور، والمعنى ويوم يقول للصور كن فيكون. وقد بينا فيما مضى أن ذلك عبارة عن سرعة الفعل وتيسيره وأنه لا يتعذر عليه شيء بمنزلة أن يقول كن فيكون، لأن هناك أمر على الحقيقة وكيف يكون هناك أمر والأمر لا يتوجه إلا إلى الحي القادر؟ ! والمعدومات والجمادات لا يحسن أمرها ولا خطا بها. والغرض بالاية الدلالة على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال ويوم يقول للخلق: موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون أي لا يتعذروا عليه ولا يتأخروا عن وقت إرادته. وقيل " يوم يقول كن فيكون قوله الحق " أي يأمر فيقع أمره. والحق من صفة قوله. كما يقول القائل قد قلت، فكان قولك، والمعنى ليس أنك قلت فكان الكلام. وإنما المعنى أنه كان مادل عليه القول. وعلى القول الأول يرفع (قوله) بالابتداء و (الحق) خبر الابتداء. وحكي عن قوم من السلف " فيكون " بالنصب باضمار (ان). وتقديره كن فأن يكون، وهذا ضعيف. وقوله " وله الملك يوم ينفخ في الصور " يحتمل نصب " يوم ينفخ " ثلاثة أوجه: أحدها - أن يكون متعلقا ب (له الملك) والتقدير له الملك يوم ينفخ في الصور وإنما خص ذلك اليوم بأن الملك له كما خصه في قوله " لمن الملك اليوم " الواحد القهار ". وقرأ بعضهم " ينفخ " بفتح الياء. و " عالم الغيب والشهادة " فاعل (ينفخ) وهوشاذ، روي عن ابن عباس ذلك، والوجه أنه لا يبقى ملك من ملكه إلا في الدنيا أو يغلب عليه بل ينفرد هو تعالى بالملك. والثاني - أن يكون يوم ينفخ بيانا على قوله " يوم يقول كن فيكون " الثالث - أن يكون منصوبا ب (قوله الحق). والمعنى وقوله الحق يوم ينفخ، الصور. والوجه في اختصاص ذلك اليوم بالذكر ما بيناه في الوجه الأول، لأن قوله حق في جميع الاوقات. وفي معنى الصور قولان: أحدهما - ما عليه أكثر المفسرين من أنه اسم لقرن ينفخ فيه الملك